فاستجاب الله دعاهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهم الصفة من ولد
اسماعيل الذي دعا مع ابيه عليهما السلام بهذا الدعا **فان قلت** من اين
علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم **فالجواب** من وجوه
احدها اجماع المفسرين وهو حجة **الثاني** قوله عليه السلام انا دعوة ابي
ابراهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وببشارة عيسى هي
ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وبما
حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد من
الله تعالى على المومنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله
على المومنين اذ بعث فيهم رسولا منهم من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه
وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله
اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت لها مصالح الدنيا والاخرة
وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر
مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي **وقرى** في الشواذ انفسهم بفتح الفا يعني من
اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب
افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين عام وهو معناه خاص في العرب
لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون
به فالمنة عليهم اعظم **فان قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم
بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية **اجاب** الشيخ ولي
الدين ابن العراقي بانه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص اومن برسالة
محمد الى جميع الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او من الملايكة او الجن او لا ادري
هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده ما تلقته
قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام
ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده
بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فان قلت** هل هو عليه السلام باق على رسالته
الى الان **اجاب** ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان
في حكم الرسالة وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان
من احكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه

السلام

السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمومن بعد موته لان المتصف بالنبوة
والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى وتعقب
بان الانبيا احيا في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري
كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام
قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال نومه الى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه
واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته
عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابد الاباد على الحقيقة
لا المجاز انتهى قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد
بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا
كتاب لهم وليس عندهم شي من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم
بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة
من ضل قبلهم من الامم وفي كونه عليه السلام منهم فايدتان احدها ان هذا الرسول
كان ايضا اميا كامة المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال
تعالى ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا
بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى كمل الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك بهذا
الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق
اهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم
على صدقه عليه السلام **الفايدة الثانية** التنبيه على ان المبعوث
منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه
وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف
كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل
ولذلك سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه
من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى ان
رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف
من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن مقاتل
كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا
خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب **وروي** ان المشركين كانوا
اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University